الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1131
2023/2/7

ملف العدد

طقوس الكتابة وميسرات الإبداع

أول الكلام

مخاض ولادة...

▪ ديب علي حسن

عندما نقرأ في تاريخ الأدب العربي عن الشعراء وإبداعهم كثيرًا ما مرت عبارات توحي بالعديد من طقوس الإبداع ..فهذا أبو تمام تسمى قصائده الحوليات ..أي يبقى ينقح ويعيد كتابتها مدة عام ..وذاك الفرزدق كما يقال كان يعاني خلجات ولادة القصيدة بطقوس غريبة ..وقيل إن الفرزدق ينحت من صخر، وجرير يغرف من بحر..

وغير ذلك كثير، مثل المتنبي الذي لم يكن يلقي شعره إلا جالساً في حضرة المتنبي ..

هذه الطقوس يسميها علم النفس ميسرات الإبداع وقد اتخذت دراستها في النقد وتاريخ الإبداع منحى مهماً وجديداً..

إنها طقوس تدل على عمق معاناة المبدع، وتشي بالكثير مما يمكن أن يقرأه الناقد والمتابع.

في سير المبدعين العالميين الكثير من هذا اللون وقد حاولنا أن نجمع بعض خيوطها مع استطلاع آراء مبدعين من أجيال مختلفة ليقولوا ما لديهم.

ومن خلال قربي ومتابعتي لبعض من أعرفهم من الكتاب أشير إلى أن الراحل سليمان العيسى كان يضع الورقة على (ركبته) ويجعل منها متكئاً وتنسال القصيدة الرائعة بخط لا أجمل ولا أبهى.

وأستاذنا الراحل يوسف المحمود حين كان يرسل زاويته الصحفية يترك نصف الصفحة الأعلى فارغاً دون كتابة ويحشر المادة في النصف الأسفل وكم كان الأمر صعباً حين التنضيد لكنه ممتع.

وقد قيض لي أن أعمل في مذكرات الجواهري الجزء الأول..كانت الصفحات ملأى بالخطوط والتشطيب والتشكيل ..وفي طقوس الكتاب العالميين الكثير مما سوف نشير إليه من خلال الدراسات التي تتبعت الأمر.

إنها طقوس جميلة وغريبة ومخاض آلام لكنه ألم الإبداع .

محمود درويش: مختبري في الضوء..

لينا الكيلاني: فعل مزاجي

إذ تُذكر الشام

ذاكرة: سلكنا إلى دمشق السبيلا

ترميم متحف تدمر قيد الإنجاز

أنهت مديرية آثار تدمر الدراسة اللازمة لترميم وإعادة تأهيل متحف تدمر الوطني الذي تعرض للتخريب جرّاء اعتداءات تنظيم «داعش» الإرهابي عليه عام ٢٠١٥.

وذكر رئيس دائرة آثار ومتحف تدمر حسام حاميش أن الدراسة تضمنت الموقع العام المحيط بمبنى المتحف إلى جانب طوابق المبنى بشكل كامل بهدف إصلاح كافة الأضرار التي تعرض لها المتحف ومحيطه جراء اعتداءات الإرهابيين.

وأشار إلى أنه بعد الانتهاء من أعمال الترميم المطلوبة سيتم العمل على عرض القطع الأثرية ضمن أروقة الطابق الأرضي وبالتالي التحضير لإعادة افتتاح المتحف أمام الزوّار في نهاية العام الجاري.

يذكر أن متحف تدمر الوطني الذي تبلغ مساحته نحو ٧٢٠٠ متر مربع يتألف من ثلاثة طوابق كانت تضم التماثيل الحجرية ولوحات الفسيفساء والمصوغات الذهبية والحلي والأدوات الفخارية والقطع الجصية والأواني الزجاجية والنقود والسررالجنائزية والمذابح النذرية إضافة إلى المومياءات.

ويحيط بمبنى المتحف حديقة كبيرة تتوزع بها أيضاً القطع الأثرية المختلفة حيث تمّ تخريب وسرقة جزء كبير منها من قبل تنظيم «داعش» الإرهابي.

معرض تشكيلي «النور» مواهب الغد

نظم فرعا اتحاد الفنانين التشكيليين واتحاد الكتاب العرب بطرطوس، بالتعاون مع مديرية الثقافة معرضاً فنياً بعنوان «النور»، رافقه نشاط أدبي وموسيقي.

وشارك في المعرض الذي أقيم في صالة المعارض بمقر فرع اتحاد الفنانين التشكيليين خمسة من الشابات الموهوبات بالفن التشكيلي، تراوحت أعمارهن من ١٠ إلى ١٩، وهو المعرض الجماعي الأول لهن، حيث قدمن عبر ٣٠ لوحة نماذج فنية متعددة الأساليب والمدارس التجريدية والتعبيرية والواقعية والانطباعية.

قالت عنه سعاد محمد رئيسة فرع اتحاد الفنانين التشكيليين بطرطوس في تصريح لها

«إنه يأتي في إطار دعم الاتحاد للمواهب الشابة ومتابعتها، وإقامة أنشطة خاصة للإضاءة عليها، ويقام للمرة الأولى بالتشارك مع اتحاد الكتاب العرب ومديرية الثقافة عبر فريق مهارات الحياة».

وبينت منى أسعد رئيسة المركز الثقافي وفريق مهارات الحياة أنه إيماناً بمبدأ التشاركية مع المؤسسات الثقافية، تأتي مشاركة الفريق التابع لوزارة الثقافة عبر لوحة غنائية قدمها عدد من الشباب الموهوبين بالعزف والغناء، بإشراف الفنان غياث كابر الذي قال بدوره: «إن ستة من الموهوبين في العزف والغناء قدموا باقة من الأغاني التراثية وأغاني السيدة فيروز».

الكاتبة لينا حمدان عضو اتحاد الكتاب رأت أن المواهب الجديدة في مختلف المجالات الفنية والأدبية والثقافية هي إضافة جديدة تغني الحركة الثقافية، التي تستقطب الهواة وتقدم لهم الرعاية والاحتضان للوصول إلى غايتهم الفنية.

واعتبرت الفنانة التشكيلية نور حسين المشرفة على تدريب المشاركات بالمعرض أن اختيار العنوان نابع من بريق الأمل الكامن بداخلهن، ليكون الانطلاقة الأولى لهن.

ورأى عدد من المشاركين بهذا النشاط أنه فرصة جيدة للتعريف بأعمالهم الفنية، حيث شاركت دلع العزاوي في الصف الثالث الثانوي بـ ٩ لوحات واقعية وتجريدية، جسدت في بعضها اللباس التراثي التقليدي والخيول العربية الأصيلة، إضافة إلى لوحات بورتريه لحالات أنثوية شتى.

رئيس التحرير
أحمد حمادة

مدير التحرير
معد عيسى

إشراف
ديب علي حسن

الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

كتاب العدد
حسب الترتيب الهجائي

أحمد بوبس
آلاء عز الدين عيد
بديع صقور
جميل حداد
رنا بدري سلوم
رجاء شعبان
سهير زغبور
شهناز فاكوش
علي حبيب
غسان كامل ونوس
فاتن دعبول
لينا كيلاني
وفاء يونس

من العالم

طقوس الكتابة عند العرب

كتب أيمن العتوم متناولاً طقوس الكتابة عند العرب قائلاً:

الكاتب المصريّ محمد حسنين هيكل صاحب (خريف الغضب) لا يكتب مقاله الأسبوعي إلا بعد العاشرة مساءً.. والأديب مصطفى صادق الرافعي صاحب (وحي القلم) لا يكتب إلا في الليل، أما الصحفي مصطفى أمين مُؤسّس صحيفة (أخبار اليوم) وصاحب (سنة أولى سجن)، والرّوائيّ نجيب محفوظ صاحب (أولاد حارتنا) فهؤلاء لا يكتبون إلا في النهار.. أما أنيس منصور صاحب (عاشوا في حياتي) فلا يكتب إلا في الساعة الرابعة صباحًا!

وشاعر الحبّ والسّياسة نزار قباني يكتب غالباً وهو مُستلق على الأرض أو نائمًا على بطنه.. وأحيانًا لا يكتب إلا عندما يكون في منتهى الأناقة كأنه مستعد للقاء حبيبته.. وقيل إنّ جبرا إبراهيم جبرا استلهم رواياته من السير على الإقدام في شارع النهر في بغداد.

وهناك طقوس في اللباس.. فالعقّاد صاحب (العبقريّات) وأنيس منصور لا يكتبان إلا عندما يرتديان البيجامة!

أمّا الروائي والطبيب السوداني أمير تاج السرّ، صاحب (مَهر الصّيّاح) عن طقوس الكتابة لديه قائلاً: «لا أكتب في البيت إلا نادرًا، ولا أكتب في الليل كما يفعل الكثيرون، وقد قمت منذ سنوات طويلة، باختراع مكان خاص بالكتابة، أرتاده يوميًا حين أكون منغمسًا في نصّ جديد، أو حتى لكتابة مقال من تلك التي أكتبها بصفة دوريّة، هذا المكان هو ركن ليس هادئًا تمامًا، في فندق متوسط بمدينة الدوحة حيث أقيم، وفي ذلك الركن أفتح كومبيوتري، وأنغمس بسرعة في كتابتي، ويمكن أن أرد على تحية عابر بقربي، ولا أنفصل عن الكتابة، أو أنهض وأتمشى قليلاً وأعود».

عبد السّتّار ناصر (كاتب عراقيّ) يقول في كتابه النّقديّ (سوق السّراي):

عبد السّتّار ناصر (كاتب عراقيّ) يقول في كتابه النّقديّ (سوق السّراي): «ينتابني قبل كتابة أيّ قصّة أو رواية، إحساسٌ غامضٌ جميل: أنّ هناكَ شيئًا في أعماقي يريد أنْ يرى النّور.

إبراهيم عبد المجيد، صاحب «لا أحد ينام في الإسكندرية»، فهو لا ينام فعلاً طوال الليل، المخصص كله للكتابة.. يقول: «علاقتي بالكون هي الكتابة.. وعاداتي أثناء الكتابة بسيطة للغاية ولم تتغير منذ بدأت أمارسها، حتى عند انتقالي من منزل لآخر لم أغير غرفة مكتبي بما تحويه، أحتفظ فيها بثلاثة دواليب للكتب، وما يزيد عنها أتبرع به أو أهديه للأصدقاء.. أحب الضوء الأبيض (الفلوريسنت).

أكتب الروايات عادة من بعد منتصف الليل وحتى شروق الشمس، لا بد أن أرى ضوء الصباح قبل أن أخلد للنوم، وأراجع ما كتبته بالنهار».. وعن نمط كتابته الروائية، يقول: «لا أعمل بشكل منتظم.. قد أكتب ثلاثة سطور أو ثلاث صفحات.. أستمع إلى الراديو وتحديدًا (إذاعة البرنامج الموسيقي)، التي تبثّ الموسيقا الكلاسيكية والخفيفة طوال الليل دون انقطاع.. بجواري زجاجة مياه؛ أشرب كثيرًا منها، وربما هي سبب بقائي على قيد الحياة.

عبد السّتّار ناصر (كاتب عراقيّ) يقول في كتابه النّقديّ (سوق السّراي): «ينتابني قبل كتابة أيّة قصّة أو رواية، إحساسٌ غامضٌ جميل: أنّ هناكَ شيئًا في أعماقي يريد أنْ يرى النّور.. لا أعرف ساعتَها لماذا أغسلُ جسدي من شوائب ما عَلِقَ به طَوال النّهار أو في ساعات اللّيل الأولى، المهمّ أنْ أغسلَ هذا الجسد حتّى يستعدّ معي للكشفِ عن هذا الشّيء الغامض المجهول».

ميكافللي صاحب كتاب (الأمير)، فكان ينهضُ فجأةً من مقعده ليجوب غرفته ذهابًا وإيابًا وهو يقرأ ما كتب، وكأنّه يُلقيه أمام حشد من النّاس، فإذا أعجبه وتأثّر به أثبتَه في نصّه، وإنْ لم يتأثّر به حَذَفَه!

هذا بالنّسبة للكُتّاب العرب، فهل للكُتّاب الغربيّين طقوسٌ مُشابهة؟ قيل إنّ الروائي والكاتب الفرنسي (ألبير كامو) كان لا يكتب إلا عندما يكون واقفًا أمام البلكونة!

بينما نجد في الجانب الآخر الروائي الفرنسي (بلزاك) لا يبدأ في الكتابة إلا عندما يضع بجواره سطلاً كبيراً من القهوة وكان يشرب من أربعين إلى خمسين فنجاناً من القهوة.. وكذلك كان فولتير يشرب هذا المقدار من القهوة.

وأمّا إيزابيل اللّندي فتقول: «أبدأ كلّ كتبي في الثّامن من يناير، هل يُمكنكم تخيّل السّابع من يناير؟ إنّه جحيم! كلّ سنة، في السّابع من يناير، أبدأ بتجهيز مساحتي الملموسة.. أُخليها من كتبي الأخرى وأُبقي على المعاجم، والمُسوّدات الأولى، والموادّ الّتي تحتوي على بحوث العمل الجديد.. وفي الثّامن من يناير، أخطو سبع عشرة خطوةً من المطبخ باتّجاه المُلحَق الصّغير المُقابل للمسبح حيثُ مكتبي، هذه الخطوات هي بمثابة رحلة إلى عالم آخَر.. إنّه الشّتاء، وعادةً ما يكون الجوّ مُمطِرًا، أمشي بمظلّتي وكلبي يتبعني.. من هذه الخطوات السّبعة عشرة أنا في عالم آخَر، أنا شخصٌ آخَر وتقول: أقرأ روايتي بصوتٍ عالٍ، إنْ لم تكُنْ مثل الطّريقة الّتي أتكلّم بها، أغيّرها».

وتقول: في الصباح الباكر في مكتبي أوقد بعض الشموع للأرواح وعرائس الإلهام أتأمّل لبعض الوقت ودائماً ما أحيط نفسي بالأزهار والبخور ثُمّ أفتح ذاتي كُليًا على التجربة التي ابتدأت في تلك اللحظة.

أمّا الرّوسيّ الأميركيّ فلاديمير نابوكوف صاحب رواية (لوليتا) فقد عُرف بأنّ معظم كتاباته معقدة للغاية سواء في الحبكة أو في الألفاظ المستخدمة، وكانت عاداته أنه يكتب رواياته على كروت صغيرة وبالقلم الرصاص فقط ولا يستطيع الكتابة إلا وهو مُستلق.

وأمّا أجاثا كريستي رائدة الرّواية البوليسيّة، فقالت: إنّ أفضَل الأفكار تأتيني في الحمّام، ولا أستطيع وضع التصاميم إلا في الرياح المطرة!

وأمّا أب الأدب الروسي، العظيم (تولوستوي) فكان يرتدي لباس الفلاحين قبل الكتابة.. والحائز على جائزة (نوبل) الروائي الكولومبي (ماركيز) فكان لا يبدأ الكتابة إلا عندما يرتدي لباس الميكانيكي!

والأميركيّ ديفيد بالداتشي، يقول: «في كلّ مرّة أبدأ مشروعًا جديدًا، أجلس مُرتعِبًا حتّى الموت من احتماليّة عدم قدرتي على استجلاب السّحر مرّة أخرى».

وإذا ذهَبْنا إلى صاحب (الشّيخ والبحر) إرنست همنغواي فسنُصغي إليه يقول: إنه لا يكتب أثناء وقت الظهيرة أبدًا؛ لأنه يكره الحرّ، فهو يكتب إمّا في المساء أو في الصباح.. وكان إذا كتبَ في الصّباح يكتبُ في غرفة نوم واسعة ومشمسة، بقلم الرصاص، وهو واقف على رجلَيه، مُنتعِلاً حذاءً أكبر من مقاسه، وعلى ورق آلة كاتبة شفاف.

على الرغم من أنّ بعض الكُتّاب يقعون فريسةَ طقوسهم في الكتابة، ولا يستطيعون التّهرّب منها، إلاّ أنّ آخرين يكتبون لمجرّد أنّ حاجةً غير مفهومة أو مرصودة تدفعهم إلى ذلك.

حَشْدٌ آخَر من الكُتّاب الأجانب تميّزوا بطُقوس الوقت في الكتابة فهذا الفرنسيّ (بلزاك) صاحب (أوهام مفقودة) قد تعوّد أن يكتب ليلا، لكنّ الإنجليزيّ (تشارلز ديكنز) صاحب (قصّة مدينتَين) كان لا يكتب إلا عند الفطور، وأميل زولا صاحب (مادلين) لا يكتب إلا الساعة العاشرة صباحًا، ولا ينهض من مكتبه إلا بعد الساعة الواحدة ظهرًا.

لرولان بارت الذي تحدّث عن أقلام الريشة المفضّلة لديه، التي يجد راحة نفسية في الكتابة بها.

لكن بعض الطقوس تبدو غريبة فلا يكتب صاموئيل بيكت مؤلف المسرحية الشهيرة «في انتظار غودو» إلا وهو جائع، وهنريك إبسن وهو مسرحيّ آخر كان لا يكتب إلاّ حينَ يضع عقربًا في قارورة فوق منضدة لحظة البدء بالكتابة.

وثلاثة اشتركوا في أنّهم لا يُثبتون نصوصهم إلاّ بعد أنْ يقرؤوها بصوتٍ عالٍ، وهم: (ميكافللي)، و (ديستويفسكي) و (إيزابيل اللّندي).

بقي أنْ أقول؛ إنّه على الرغم من أنّ بعض الكُتّاب يقعون فريسةَ طقوسهم في الكتابة، ولا يستطيعون التّهرّب منها، إلاّ أنّ آخرين يكتبون لمجرّد أنّ حاجةً غير مفهومة أو مرصودة تدفعهم إلى ذلك، دون أنْ يكون لا للقهوة ولا للموسيقا الهادئة ولا لزرقة السّماء أو امتداد الأفق أو هدير الموج، أو أيّ شيءٍ آخر علاقةٌ بأيّ طقسٍ لديهم.

محمود درويش مختبري في الضوء

وفاء يونس

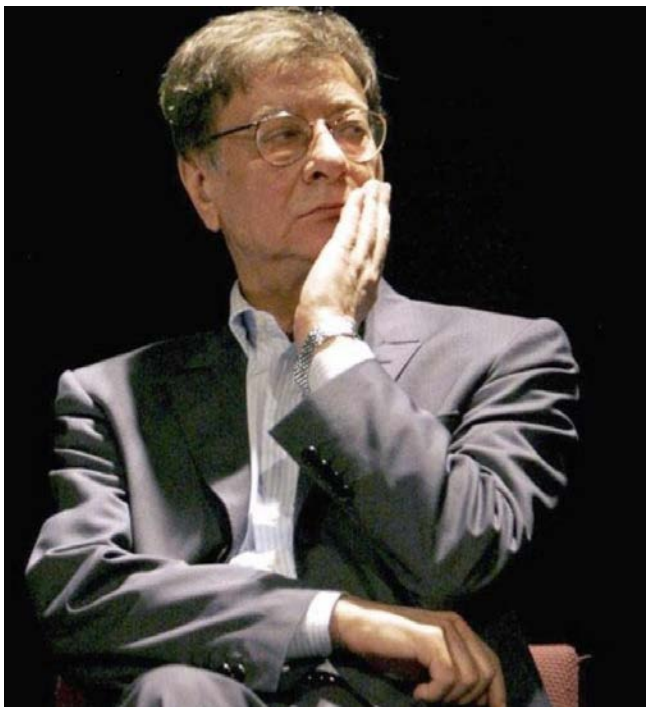

في حوار أجري مع محمود درويش منذ فترة طويلة يسأله محاوره عن طقوسه في الكتابة فيقول درويش : بذلت جهوداً طائلة كي أتعلم الكتابة في الليل لأن الوقت في الليل أطول ولكن لا أعرف الأسباب الغامضة وأذن مختبري مفضوح مكشوف في الضوء..

صحيح أن الكتابة تعبيرعن اللاوعي .إذ الكتابة هي اللاوعي عندما يتكلم لكنّها تحتاج إلى وعي شديد وهذا الذي قد يربط بيني وبين الضوء فلا أكتب إلا في الضوء.

من طقوسي أو بالأحرى عاداتي الأخرى أنني لا أكتب إلا على ورق أبيض غير مسطر وأقطّع كثيراً من الورق .

كلما أشطب سطراً عن صفحة أعيد نسخ ما كتبت على صفحة أخرى.

لا أحبّ المسودات المشوشة كما أنني أكتب بقلم الحبر السائل باللون الأسود دائماً وأحياناً عندما تتعثر الكتابة أتطيرمن قلم فأغير الأقلام معتبراً المشكلة في الأقلام واذا صدفت هذه الريبة فإنني أؤمن بالقلم الآخر.

من عاداتي أيضاً أنني لا أستطيع الكتابة في الطائرة ولا في القطارات ولا في الفنادق ولا مكان خارج المكان الذي توجد فيه كتبي أو على الأقل مكتبتي الرئيسية أحتاج دائماً إلى مراجع ..

وقد تستغرب كلما كبرت في السن وفي التجربة الشعرية تزداد شكوكي إزاء دقّة الكلمات وصوابها .

انا لم أكن أفتح القاموس بهذا الشكل للتأكد من سلامة الكلمة وجذرها ومصدرها وتعدد معانيها ولذلك لا أستطيع أن أكتب في مكان لا توجد فيه قواميس أو مراجع أو انسيكلوبيديا .

في الكتابة الشعرية أحتاج مراجع كما لو أنني أقوم ببحث..

بينما القصيدة في ظنّ الناس الذين لا يكتبون تبدو كما لو كانت خاطرة ..لا ..الشعر ليس خاطرة أنه عمل بحث شاق يحتاج إلى التدقيق.

إرنست همنغواي والكتابة بقللم الرصاص

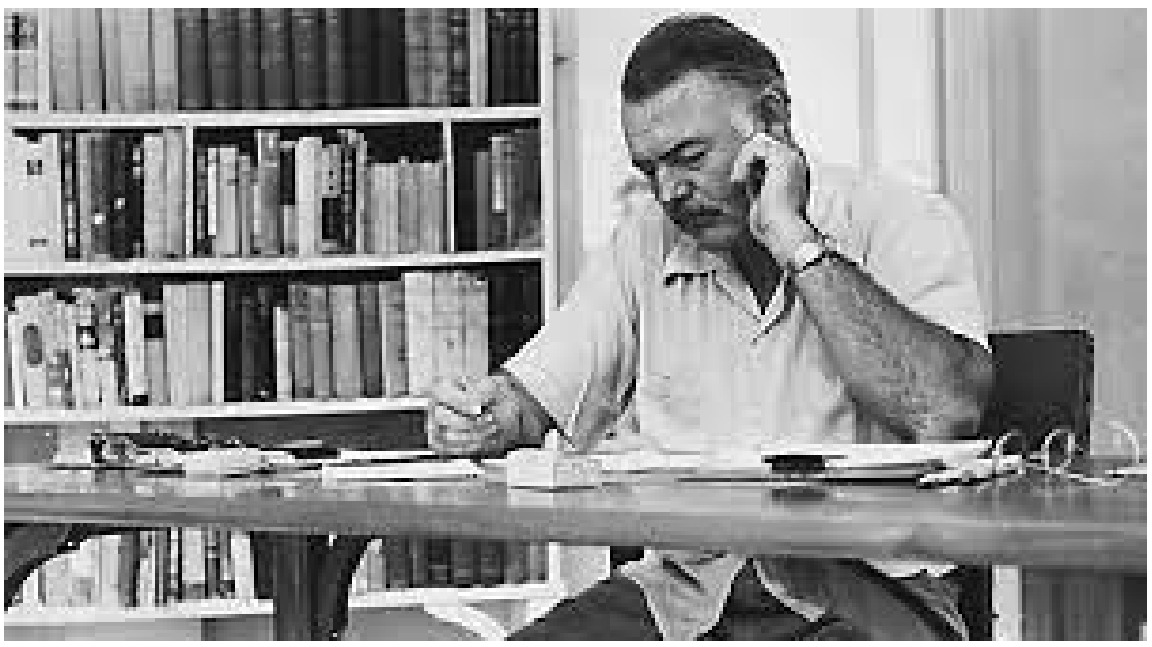

حاز إرنست همنغواي على جائزة نوبل للآداب في عام ١٩٥٤م.. و حينها لم ينشر في حياته سوى سبع روايات وبعض المجموعات القصصية، وكتابين واقعيين.

بدأ الكتابة في باريس عام ١٩٢٠م حيث عمِل مراسلاً عسكرياً، حاملاً معه دفتر ملاحظات وقلم رصاص في جيبه، وكان يحب الكتابة في المقاهي، و حرّر روايته الشهيرة (الشمس تشرق أيضاً).

وفيما بعد كتب أغلب أعماله في منزله الواقع في كي ويست في فلوريدا، و في غرفة نومه المليئة بالكتب والجرائد المكدسة، كان يضع الآلة الكاتبة بشكل دائم على خزانة الكتب الفوضوية، و أسماها (طاولة العمل).

أحب همنغواي الكتابة في الصباح الباكر، ودون أن يكلف نفسه عناء ارتداء ملابسه، و قال ذات مرة : «الكتابة في الصباحات الباكرة تجعلك واثقاً من إتمامك للكتابة.. لا أحد يزعجك، أكان الجو قارًا أو باردًا، فأنتَ تُقبل على عملك وتستدفئ بالكتابة.. تقرأ ما كتبته، وبما أنك تتوقف دائمًا حيثُ تعرف ما سيحدث لاحقًا، فإنك تستكملُ الكتابة من هناك.. تواصل الكتابة حتى تصل إلى المكان الذي تشعر فيه بأنك ممتلئ بعصير الكتابة، وتعرفُ فيه ما سيحدث لاحقًا».

يكتب همنغواي مسوداته الأولى عادة بالقلم الرصاص، ثم يطبعها بواسطة الآلة الكاتبة على ورق مصقول، و يحتفظ بها في المشبك اللوحي جهة اليسار للآلة الكاتبة..

وُصِف خطه بالصبياني كونه لا يركز على علامات الترقيم، و لا الحروف الكبيرة، ولديه عادة وضع علامة X في نهاية الجمل.. كما أنه يحتفظ بدزينة أقلام رصاص حادة ويقول: «إن إتلاف سبعة أقلام رصاص (من نوع رقم ٢) يعني أنه يوم عمل جيد».

و حينما يرضى عن المسودة، يقوم بطباعتها على الآلة الكاتبة واضعًا إياها عند مستوى صدره وهو واقف غالبًا لعدة ساعات دون توقف.. لقد استخدم أنواعًا مختلفة من الآلات الكاتبة منها: (كورناس)، (اندروود نويزلس المحمولة)، بالإضافة إلى (رويال) و(هالدا المحمولة).

وفي آخر يوم الكتابة يقوم همنغواي بعّد الكلمات التي كتبها، ويدون تقدّمه على جدولٍ مصنوع من قطعة ورق مقوى لصندوق، معلقٍ ومثبتٍ على جدار غرفة النوم، وكان يعتبر أداءه جيداً إذا كتب ما يعادل خمسمئة كلمة يوميًا.

فعل مزاجي

لينا كيلاني

يسألني محدثي عن كواليس الكتّاب، وميسرات الإبداع.. بمعنى طقوس الكتابة عند المبدعين.. مثلاً هل لهم طقوس محددة حتى يبدعوا؟ هل يكتبون ليلاً نهاراً، صباحاً، أو مساءً؟ نجيب محفوظ كان لا يكتب بعد ساعة محددة، فلان لا يكتب إلا إذا جلس في مقهى، وهكذا.. فأقول:

هناك مسافة بين القيد والحرية، وبين الهواية والمهنة.. ومَنْ اختار الكتابة كهواية له فمساحة الحرية لديه لممارستها هي بلا حدود، ولا هي مقيدة بمواقيت محددة، وإنما هو المزاج الذي يحكم رغبة الكتابة. أما مَنْ اختارها كمهنة له، وخاصة في مجال الصحافة الأدبية، فهو ذلك الذي يقيده الوقت بمواعيد محددة قد تضطره لأن يكتب ما عليه أن ينجزه، وقد يصبح الأمر عبئاً على صاحبه أحياناً.

أما الكاتب الذي أصبح محترفاً فهو يستطيع أن يستحضر الشرارة الأولى ولا ينتظر عبثية حضورها.. إلا أن طقوس الكتابة لها شأن آخر، إذ هي تتعلق إما بمزاجية الكاتب، أو بمدى احترافه.. فالكاتب المحترف والذي أنجز كماً من الأعمال حتى نال لقب (كاتب) فهو مستعد لأن يشهر قلمه، أو يحرك أصابعه فوق جهاز حاسوب في أي لحظة تباغته فيها فكرة ما، فيكتب سواء أكان في غرفة نومه، أو في المقهى وسط ضجيج المكان، ذلك لأنه لن يفرّط في اقتناص الفكرة، والأفكار دفق يسيل مع الفكرة الأولى.. فهل لكاتب أن يضيع فرصته بألا يقبض على فراشته الحائرة التي تحوم حوله قبل أن تهرب منه؟

وأمثال (نجيب محفوظ) من الكتّاب الكبار فلو التزموا بأوقات محددة للكتابة فهذا لا ينتقص من إمكاناتهم، أو براعتهم، وإنما يعود إلى نسيج شخصية منظمة تحبّ أن تفصل الأوقات عن بعضها بعضاً، ولا تفسح مجالاً لتداخلها، ذلك لأن فعل الكتابة من وجهة نظر هؤلاء إنما هي عمل مقدس له مساحة من الاحترام بمواعيد، ومواقيت لا يجوز اختراقها، أو كأنه التزام وظيفي يستدعي الحضور في ساعة معينة.

وذلك الذي يكتب وسط الضجيج فهو ربما يستلهم منه الحماسة، أو يتلمس نبض الحياة من حوله ليسكبه في سطوره، أو أنه يتحدى صدى الأصوات من حوله بمقدرته على فصل نفسه عنها وكأنه لا يسمعها.

على أي حال يظل لكلّ كاتب مزاجيته الخاصة التي تتوافق وشخصيته في الحياة.. فهذا كاتب هادئ في طباعه، وعباراته، وذاك متمرد، ثائر في نصوصه وفي سلوكه، والتعبير عن السلوك والطباع قد يظهر في الطقوس، وتتحدث عنه الأمكنة.

وأنت يا محدثي تذكرني بطقوس أمي الأديبة (قمر كيلاني) وأنا منذ طفولتي تعلمت ألا اخترق عزلتها لأي سبب كان، أنا وغيري لأنها تفصل نفسها تماماً عن العالم الخارجي ليلاً، أو نهاراً لا فرق، المهم أن هذه العزلة تستمر لساعات طوال في غرفة مكتبها لأنها تنجز عملاً روائياً، أو مجموعة قصصية، أو دراسة، أو بحثاً، على مدى أيام، أو أسابيع يتخللها بعض الانقطاع لفترة ما قبل العودة لإنجاز ما سبق إنجازه بشكل نهائي.. أما مقالها الأسبوعي في صحيفتكم فذلك له الأولوية في صباح كلّ ثلاثاء ليصدر في النسخة الورقية يوم الخميس. وطقس المقالة هذا يختلف عن غيره فهو له وقت محدد عند الصباح مع فنجان القهوة. إلا أن لديها من المرونة بحيث أنها ممكن أن تمسك بالورقة والقلم في أي وقت لتكتب ما يتقد في ذهنها. والطقس يبدأ عندها بإرهاصات ما قبله وعند اتخاذ قرار كتابة نص أدبي ما، لينشغل الذهن في صياغة الفكرة، ورسم الشخصيات، وبناء هيكل العمل الأدبي، أو عامود الفقري الذي سيبنى عليه، والفكر يبقى في حالة من الانشغال بالمشروع الكتابي، ولا يتوقف التفكير فيه حتى إذا كانت صاحبته بين جموع من الناس.

ولو سألتني عن نفسي فسأقول لك إنني لا أتصيد اللحظة للكتابة، وإنما هي تأتي إليّ من تلقائها ربما مع حادثة تمر بي، أو كلمة أسمعها، أو عبارة تقع أمامي فتحرضني، أو أغنية تصل إلى سمعي، إلا أنني عندما أقرر كتابة رواية مثلاً فلابدّ أن ترافقني الموسيقا والصاخبة منها أحياناً كمحفز لي قبل أن أنفرد معها وراء أزرار (كمبيوتر) تحديداً لأنني لم أعد أستخدم القلم والورق، فتدفق الفكرة في ذهني لا تواكبها سرعتي في كتابة اليد بينما تفعل ذلك أزرار لوح أي جهاز ذكي يقع تحت يدي.. ولا يهم عندي المكان كثيراً سواء أكان في مكاني المفضل للكتابة في المنزل وهو السرير، أم في مقعد طائرة، أم في غرفة انتظار في عيادة طبيب، أم في رحلة في مركب بحري.

ومادامت الكتابة فعل مزاجي سواء في مواقيتها، أو في اختيار جنسها الأدبي، أو في أمكنة انبثاقها، فبالتأكيد تتنوع طقوسها بين سهل وجبل، وصخب وعزلة، ولا يمكن تحديد نمط موحد لها.. وأحياناً يكون لها من الخصوصية مما لا يحب الكاتب أن يفصح عنه.

وتر الكلام

ذرات الذهب...!

سعاد زاهر

ما بين الشاشة والورقة، زمنان تغيرعبرهما كل شيء، إلا مزاج الكتابة، تلك العادات الروتينية التي تتملك كل من اعتنق الكتابة بتفردها وهواجسها.

حتى يمتلئ البياض بأفكار إبداعية يتمكن الروائي أو الشاعر من بثها عبر تموجات روحه، لتصل إلى القراء بنفس اللهفة التي صيغت بها، هناك عادات روتينية، مزاج كتابي، طقوس أياً كانت التسمية، المهم أنها تحرض وتلهم الكاتب لتصبح أوراقه البيضاء معجونة بماء الذهب.

ذرات الذهب تلك ترشح إلينا ومضات ما إن نقترب منها، حتى نشعر أن لا مفر من تلك الحكايا التي تنتمي إلى آخرين ولكننا نتماهى معها حد الخذلان إن عانوا... وقد نتبدل بعدها كلياً.

تلك المزاجية ماهي إلا ممر لعبور كلمات المبدع إلينا، قد لا نهتم بطقسه إلا حين يتمكن الكاتب من إقناعنا، حينها نرغب في معرفة كيف أتقن الوصول إلينا...؟

حين قرأت هاروكي موراكامي بعوالمه الغرائبية، تمنيت لو أعرف كيف يفكر...؟

كيف يكتب صاحب هذا الوجه الهادئ، بنظراته الذكية العميقة...؟

حين علمت أنه يهوى الركض، فهمت لماذا نمارس معه هوايته عبر اللهاث خلف أحداث رواياته الغرائبية حيث ندخل معه في حياة شخصيات، لا نصدق بعد انتهاء الرواية أننا خرجنا منها، وتتدفق أفكار وخيالات لا نتمكن من التخلص منها، إلا حين نبدأ قراءة عمل جديد لكاتب آخر تقودنا إبداعاته نحو فهم طقوسه.

لعلنا حين قرأنا رواية الكاتب أرنست همنغواي (العجوز والبحر) والتي نال بسببها جائزة نوبل، بدا واضحاً إتقانه للصيد، فكل هذا التعمق في محاكاة العلاقة مع البحر تحتاج لصياد ماهر...

الطقوس تقود الكتاب إلى لحظات إلهام يكتبون بعدها باندفاع وحرارة، إلى أن تتسرب خلاصة أفكارهم، إلى تلك الأوراق البيضاء، وحين تمتلئ إبداعاً، لا ندري هل تتوقف طقوسهم، أم أنها تصبح عادة متأصلة في ذواتهم أبداً.

الكتابة الأثيرة وطقسها الأثير

غسان كامل ونوس

كنت- وما زلت- أسمع، وأقرأ، طقوساً محدّدة لازمة للكتابة، لدى كتّاب قريبين وبعيدين في المكان والزمان؛ سواء أكان ذلك متّصلاً بمواقيت يوميّة، وفصول ومواسم، أو بأمكنة داخليّة وخارجيّة؛ ومنها ما يتطلّب الهدوء والصمت والانغلاق، أو التدخين والموسيقا، والانفتاح على الطبيعة والفضاء، مع أنواع من الشراب والطعام، أو من دونها...

وكنت- وما زلت- أعود إلى نفسي آناء الكتابة، التي أثابر على ممارستها منذ أكثر من أربعة عقود؛ فأحاول أن أبحث عن طقس مميّز أو حال أثيرة، فأجد أنّني كتبت، وأكتب، من دون طقوس، وفي مختلف الأوقات والأمكنة والظروف؛ فالأهمّ أن تكون الفكرة حاضرة، أو الرغبة في الكتابة متوافرة، أو أنّ الحالين مترافقتان، ولا يبقى سوى وجود فسحة لذرف الأفكار على الورق؛ ومنها ما يذهب بلا رجعة؛ لانعدام تحقّق مثل تلك الفرصة، أو تأخّرها؛ وقد تبقى الفكرة تدور في الذهن مدّة، وتتنامى، وتستجمع روافد إغنائها، حتّى تصبح قابلة للحياة؛ باستقلاليّة نسبيّة عنّي، فتسيل الكلمات والجمل؛ بما قد يفاجئني؛ وقد أبدأ بكتابة فكرة؛ ليتحوّل النصّ إلى فكرة أخرى؛ وهذا لا يعني أنّني لا أقارب فعل التدوين، إذا لم تكن الفكرة مكتملة؛ مع أنّي لا أرغم نفسي على ذلك؛ فالرغبة في الكتابة تستدعيني لاستدراج فكرة شاردة، أو كلمات لائبة، قد لا يكتمل هذا في جلسة استنزاف واحدة. وأعود- دائماً- إلى ما كتبتُ بعد حين، يطول أو يقصر؛ لتشذيب قد يحتاج إليه، وقد تتكرّر المراجعة حتّى يغدو النصّ مقنعاً؛ من وجهة نظري، التي لا أفرضها على أحد، ولكن أعرض ما توصّلت إليه على الملأ؛ حين يمكنني ذلك، وللآخرين الحكم عليه، حسب اهتماماتهم ومستوياتهم ونواياهم...

وطبيعيّ أن تختلف الحال بين النصوص الإبداعيّة وغير الإبداعيّة؛ ولا سيّما أنّني كتبت في عدد غير قليل من الأجناس الأدبيّة؛ كما يتمايز الأمر بين نصّ إبداعيّ وآخر.. فحين أبدأ برواية؛ أنشغل بها، وأستزيد، وأغتني، من دون انقطاع، ومن دون كتابة نصوص إبداعيّة أخرى، حتّى أنتهي منها في نسختها الأولى؛ الرواية الوحيدة، التي توقّفتُ في أثناء كتابتها، وانقطعتُ عنها نحو عام، خرجتُ خلاله نصوص أخرى، ثمّ عدت إلى إتمامها من دون توقّف، كانت «أوقات برّيّة»؛ أمّا الروايات الأخرى، فتراوحت مدد كتابتها بين شهر وبضعة أشهر؛ ليس إلّا.

وحين تراودني الفكرة، تتبنّى قوامها؛ شعراً أو نثراً، والجنس الأدبيّ المناسب لها، وحتّى حين أُقْدِم على الكتابة من دون فكرة متبلورة، فإنّ ما أكتبه يفرض هيكله ونوعه وطوله؛ فقد تتفاوت النصوص في الجنس الأدبيّ الواحد تفاوتاً مهمّاً من حيث الطول؛ ففي الشعر هناك بضعة أسطر، وصفحات، وفي الرواية أيضاً اختلافات بيّنة في البنية والفضاءات والكائنات، وحين أحسّ أنّ النصّ اكتمل، أتوقّف عن الكتابة فيه؛ وقد استبعدتُ أربع صفحات من الرواية «المدار»، التي تتكوّن من مئات الصفحات؛ فقد اقتنعت أنّها تشكّل عبئاً عليها! وحين أحسست أنّ فكرتين في نصّين قصصيّين، لم تُشبعا، وتحتاجان إلى فضاءات أوسع، حوّلتهما إلى روايتين؛ إذ لا أضع برنامجاً مسبقاً للعمل، لا في الرواية؛ ولا في سواها؛ بل أعمد إلى استكمال المشاهد والأفكار؛ كما في لعبة (البَظلّ) المعروفة؛ والعمل الوحيد، الذي وضعت له مخطّطاً، لم يُكتب!

وحدث أن تلبّستني حالٌ أيّاماً، كتبت خلالها من دون أيّ تخطيط أو تدبير، عبارات وأفكاراً قصيرة، فخرج كتاب نثريّ، لا مسمّى لجنسه، مختلف في الشكل والمضمون عن سواه؛ أسميته «نفثات».

أمّا في الكتابات غير الإبداعيّة، فيكاد لا يختلف الأمر؛ فلا طقوس، ولا أوقات محدّدة؛ ولا موضوع مختاراً أحياناً؛ لكنّ الكتابة الدوريّة المطلوبة؛ (وقد كتبت مئات المقالات والزوايا)، تفرض عليك شعوريّاً ولا شعوريّاً، أن تكون مهيّأ لالتقاط ملمح أو اقتناص فكرة، تناسب الحيّز المتاح، أو تُستدرج أيضاً في ظرف معيّن خاصّ أو عام.. وللحقّ فمثل هذا الشعور الواعي وغير الواعي، يكاد لا يفارقني؛ فأحسّ دائماً أنّ عليّ الكتابة، وأنّ لديّ ما يجب أن يكتب؛ ولعلّه يستحقّ، وأنّ عمراً محدوداً كأعمارنا؛ حتّى إن بلغ أقصاه، لا يكفي لإشباع هذا الشعور؛ على الرغم من أنّ أوقاتاً جديدة تعبر، أتساءل فيها إن كنت حقّاً من كتب كلّ هذا، ومتى؟! وكيف؟! وهل يمكن أن أعود إلى الكتابة؟! ولكن لحسن الحظّ لا تطول.

لقد كتبت كثيراً بين أفراد الأسرة، وفي أيّ مكان داخل البيت، وخارجه وحوله، وفي حافلات مكتظّة بالركّاب، غاصّة باللغو والضجيج، وكتبت في الطبيعة، بين الأشجار والشجيرات، وعلى السفوح، وفي الحدائق العامّة، وعلى شاطئ البحر، وفي المكاتب، التي كنت مسؤولاً فيها، وفي أيّ مكان أقمتُ في الحِلّ والسفر، وفي حالات الانتظار، التي تكرّرت، وتمادت، وكتبت في مختلف أوقات النهار والليل من الفصول الأربعة...

جولاني الحبيب ..

آلاء محمد عز الدين عيد

إليك ياهيلين الحسناء..يا افروديت الجمال ..يا معشوقة روحي المتيمة ..

إليك ترحل السنونو كل صباح باحثة في قلبها الأم.

إليك تهاجر ورودنا العطشى قاصدة سلسبيلك العذب وتجول الفراشات في سمائك تاركة أثرها كحلاً لعينيك الجميلتين ..

جولان يا قلب وطني الجريح ..يا طوداً علم الخافقين دروس العزة والإباء..

ماذا أقول ..حبيبتي وقلوبنا المهاجرة إليك أبت الرجوع إلينا دونك؟

ماذا أقول ولغات العالم عجوز هرمة تلاشى كلمها وتبعثر حرفها عاجزة عن شوقها والحنين ..

ماذا أقول ومداد الكون جف خجلاً عن وصف قدسك يا أرض القداسة والكبرياء..

ماذا أقول حبيبتي ووطني يراع عطش وأنت حبر وطني ودم الحياة لهذا اليراع ..

كل الدروب .. تؤدي إلى الإبداع

فاتن دعبول

كيف يبدأ الكاتب إبداعه، هل من طقوس تلازمه ويكون حبيساً لها لا تغادره إلى أن ينتهي من منجزه الإبداعي، أم إن الإلهام والتحفيز الشعوري يأتي عفو الخاطر، فتنساب الكلمات والأفكار دون عناء؟

في الحقيقة من يتابع المبدعين في سيرهم الذاتية سيكتشف أن لكل واحد منهم طريقة خاصة يلجأ إليها عندما يريد كتابة رواية أو قصيدة شعر وغير ذلك من فنون الأدب، وتختلف هذه الحالات من شخص إلى آخر، ولكن ثمة قاسم مشترك يجمعها وهو الطرافة والغرابة أحياناً، والهروب إلى النص بطقوس قد تكون غريبة في أحيان أخرى.

ولكل مبدع حكايته، فماذا يقولون عن طقوسهم في الكتابة، وهل حقاً هناك عادات تكبل الكاتب فلا يستطيع إلى الخلاص سبيلا؟

الهدوء والانعزال .. أحياناً

طقوس يقول الدكتور حسين جمعة: الكتابة متعددة تبعاً لطباع الكتاب والأدباء يتخذونها لأنفسهن، وكل يقول: أنا أكتب في وقت كذا .. ومكان كذا.

والرأي عندي في ضوء تجربتي أن حضور الشعر يفرض نفسه ساعة يشاء، وتنقدح المخيلة بأبيات، يستلهم مادتها من تجربته وثقافته وما حفظه من شعر ومسالك فنية، ثم يهذب ما ابتدعته مخيلة المبدع في صميم المراجعة.

أما البحث فإنه يحتاج إلى حضور فكرة مبتكرة، ثم تصقل بالقراءة، وربما تتبدل وتتخذ أشكالاً معدلة، فإذا استقرت، أخذ الباحث يضع مخططاً لها يجليها ويبين سماتها، وهذا يحتاج إلى هدوء وانعزال عمن حوله، لأنه يغير ويعدل كثيراً من الفقرات، فإذا استقام الأمر احتاج من جديد إلى قراءات لتغني الفكرة، وهي تحتاج إلى هدوء وصفاء وابتعاد عن الخلق.

وربما تعتاص عليه مسألة، أو أنها لا تعطيه انقيادها للمرة الأولى، وفي مثل هذه الحال يتركها حتى تنقدح في وقت ما لأنها تظل تدور في باله، فهو قد يحصل على المقصود ليلاً أو نهاراً، وهنا كنت أنهض من نومي لأثبت ما انجلى لي وأفرح بذلك فرحاً عظيماً.

ولا يغيب عن البال أن بعض الآراء تتضح بسؤال الآخرين أو عن طريق توارد الآراء بشكل غير مقصود، وعلى الباحث أن يؤيد ما يذهب إليه بآراء الآخرين إن كانوا قد تواطؤوا معه على الفكرة وإسناد آرائهم إلى مصادرها.

أفتقد اليوم طقوسي اليومية

ويبين الأديب حسام خضور أن الكتابة عمل، لكنه ليس أي عمل، إنه عمل يستثمر طاقات صاحبه كلها إلى الحد الأقصى، ساعة أدائه، وقد ينتج منه ما أراده، أو لا ينتج شيئاً، قد يبدع تحفة أو يتسبب بكآبة، وبالتالي تكتنفه أشياء تدخل عالم الأسرار التي لا يعرفها حتى صاحبها أحياناً، لأنها تتلبسه

وتغدو جزءاً منه.

هذا في الجانب غير المرئي في عالم الكاتب، أما في الجانب المرئي منه، فيمكنني أن أضع يدي على بعض الأشياء التي أراها بوضوح في حياتي اليومية، على الرغم من أنها ولدت فيّ من دون أن أدري، وألفتها بحكم العادة.

في حياتي اليومية أميز بين صنفين في الكتابة:

الترجمة وكتابة القصة والرواية، يجمع بينهما مكتبي، وفنجان القهوة، لست مدمن قهوة، لكن فنجان القهوة، مثله مثل أدوات الكتابة، لا يبرح سطح مكتبي، في الترجمة أعمل عندما لا أكون مرهقاً، وأعمل ساعات طويلة حتى أكاد أفقد الصلة اليومية بالناس.

وفي كتابة القصة أو الرواية، الأمر مختلف، هنا أستيقظ صباحاً وأعمل حتى الضحى، في هذه الساعات أتأمل كثيراً، وأفكر كثيراً، وأكتب قليلاً، الكتابة تدفعني إلى التواصل مع الناس والبحث في تفاصيلهم الدقيقة قبل أن أدخل في كتابة العمل الذي جمعت مواده من الحياة العامة.

في زمن مضى كنت أعتزل الحياة العامة، أو على الأقل، طقوسها اليومية المعتادة، لأبقى في جو عملي أبنيه فقرة ..فقرة، في زمن مضى كانت البيئة الطبيعية جزءاً من عملي، أقصد المكان الذي أكتب عنه، أو ما يشبهه.

اليوم أفتقد رفاهية أن أعيش طقوس حياتي اليومية التي ألفتها وكانت جزءاً مني إلى عهد قريب، لقد حرمني العدوان المستمر بأشكال عديدة على بلدنا تلك الرفاهية، صرت غير قادر على ممارسة طقوس حياتي اليومية بسبب أزمة الطاقة المستفحلة، غدت العزلة رفاهية ذات كلفة عالية، وصار السفر إلى أريافنا حلماً رومانسياً، لكن من يدري، فقد يتحقق حلمي الرومانسي هذا قريباً.

الشتاء .. ربيع الشعر

وترى الشاعرة أحلام بناوي أن كل أديب يحتاج للمحفزات والطقوس، وكأنهما مراحل تنقية لإبداعه ليخرج صافياً عذباً كالماء، وقد يأتي محفز ما يشعل في روحي فكرة قصيدة، أدون الفكرة على ورقة صغيرة حتى أهيىء طقوسي لأكمل الفكرة وأجعلها قصيدة متكاملة، وكثيراً ما تمنيت في لحظات ما أن يختفي الرفاق من حولي لأخلو بالقصيدة، فالطقوس تساعدني على الكتابة.

وأفضل الكتابة في مقهى زجاجي بشكل خاص، وباستخدام الورقة البيضاء الكبيرة والقلم ذي اللون الأسود، وكلما كتبت أبياتاً مبعثرة، أعدت كتابتها بشكل منتظم على ورقة أخرى لأعيد قراءتها مراراً وأنا أكمل القصيدة، وكثيراً ما أرسم بعض الرسوم قرب الأبيات المبعثرة خلال كتابة القصيدة.

وأحب أن تكون طاولتي فيها نوع من الفوضى، بمعنى أن تكون أوراقي مبعثرة أمامي وإن لم أجد ورقة كتبت على المناديل البيضاء، وفي إحدى المرات كتبت على ورقة ظرف الشاي الذي قدمه النادل لي، كما أحب أن أرى السماء من النافذة وكذلك الطريق بالمارين عليه.

وتغريني الطبيعة جداً، حيث كنت أذهب إلى لبنان لآخذ غرفة في أحد فنادقها المطلة على الجبال والوديان وأكتب، كما أن من أكثر الأماكن التي تستفزني للكتابة هو دير سركيس وباخوس في جبل معلولا، والشتاء بالنسبة لي هو ربيع الشعر تتساقط فيه القصائد كالمطر.

لا قاعدة للاستلهام

وتقول الأديبة آلاء أبو زرار:

منذ أول يوم قررت فيه ان أكتب، أن أدخل هذه المغامرة التي تستنزف العقل والروح وتسكب دماءهما حبراً على الأوراق، علمت يومها ألا قاعدة للاستلهام، إذ إنني لطالما حاولت إقحام نفسي في تلك الصورة النمطية التي يصدرها لنا الإعلام عن كاتب هرم ينحني فوق أوراقه وتضيع معالم رأسه في ضباب دخانه ويعانق قلمه بيد محنكة، بينما تمسك يده الأخرى قدحاً عملاقاً تفوح منه رائحة مشروبه المفضل، وأمام هذا الكائن العجيب يمثل مشهد طبيعي بديع هو معينه في استلهام أفكاره وفي إبداع ما يكتب، وتصدح بقربه موسيقا كلاسيكية هي كفيلة بوضع مخيلته على مسارها الصحيح.

حاولت مراراً وتكراراً تقليد الصورة وتأمين لنفسي هذه الظروف بحذافيرها، ولكني تفاجأت بأني كنت أكتب أجمل نصوصي والمخدات تتطاير فوق رأسي وصغاري بجانبي يلعبون، وإني أصوغ عباراتي بسلاسة وأنا أحاول إقناع أحدهما بأن رأس قلمه ما تزال مدببة ولا داع لتقليمه من جديد، ويجدر بي الاعتراف بأن معظم الأفكار تأبى أن تتدفق إلا مع مياه الصنبور وأنا أغسل مواعين العشاء.

الفوضى هي السمة الأبرز

وتضيف آلاء أبو زرار:

الكتابة خشبة مسرح، ولكل مسرح كواليس، وسمة كواليسي الفوضى، سواء على مستوى الأفكار التي أراكمها في مدونتي والتي لو تصفحها أحدهم لما فهم منها شيئاً، أم على مستوى الأوقات إذ لا وقت محدداً ولا حالة نفسية تقيدني، قد أجدني أنهض باكراً وأسرع للكتابة دون تحضير مسبق، أو قد أتفاجأ بإلهام يسرق النوم من عيني بعد منتصف الليل، ولا يغادرني قبل أن أدونه وأعود لسلطان النوم، وأجد نفسي أحياناً في منتصف النهار، أغادر محيطي وانزوي لأكتب فكرة أو خاطرة قبل أن تعاقبني بداء النسيان، فأبيت حائرة أكلم نفسي وأبحث بين طياتها عن هذه الفكرة التي رحلت دون سابق إنذار.

ولكن لم كل هذا التفاني في الكتابة؟ ما السبب الذي يدفعني لهذا الاستنفار أمام الأفكار وكأنها طبول حرب تدق بلا هوادة، فلا تدع لي مجالاً للتريث، للتجاهل أو للخروج من عمق الإلهام إلى سطحية الحياة اليومية واعتياديتها؟ هو سؤال لابد أنه راود كل من لامست أقلامه الورق، الجميع تساءل يوماً عن غايته من الكتابة، ثمة من يكتب ليثبت نفسه بين أقرانه، ومن يكتب لإيصال رسائل ووصف أحداث، ومن يكتب لنيل مكاسب مادية أو مكانة اجتماعية أو لاستعراض عضلاته اللغوية في النحو والبيان، أما عن نفسي فأنا من ذلك النوع الأخير والبسيط الذي أصابته لعنة الكتابة فأدخلته في متاهة «مينوتور» الأسطورية، عندها وجدت نفسي قرباناً يركض هرباً من وحش الإلهام ولا ينجو منه إلا بتفريغ الأفكار والهواجس والمشاعر على الورق.

نعلق أفكارنا بملاقط الوقت

رنا بدري سلوم

لا تسأل كاتبة في أي وقتٍ تكتبين، يا صديقي، نحن النساء نعلّق أفكارنا على حبالِ الغسيل بملاقطِ الوقت، كي لا ننسى مع ضجيج مسؤولياتنا المعلّقة فعلَ الكتابة، نكتب ونحن نعدّ فنجان قهوة الصباح المهيّلة بحبر اللغة، نكتب ونحن نعد وجبات سعادة يلتهمها أطفالنا، وهم لا يملكون مفاتيح الكلام للشكرِ والامتنان أمام لذة الطعم والمعنى، فنعجن طحينَ الأفكارِ أرغفة مقمّرة يخمرها الوقت بعفّة الانتظار، فنكتب في كل حين بكحل العيون ووسوسة الظنون، ألسنا رَبّاتِ القلوب؟ فتارةً نكتب بأقلام الحمرة على شفاه الأيام المتشققة، وتارة أخرى نكتب ونحن نقلّم أظفار الوقت، ونلّون حياتنا المتكسّرة بطلاءِ الورد، فتظهر الأبجدية مطعّمة بحلّةِ الأنوثة الطاغية، لذا نكتب في كل وقت كي لا تشيخ فينا مرآة ولا تجف أرضُ الذات التي غدت رهن إشارةِ لمن يشاركنا الأنفاس والإحساس، فلا وقت لنا وللريح حين تهب وتعصف، وإن أغمض القلم عينه نستكين معه في غفوة محارب، نتمنى أن تتوقف فيها عجلة التفكير، لنستريح من بنات أفكارٍ لم تلد بعد، تحدث تصدّعاً وحركة داخلية مزعجة لا توقفُها مسكناتِ القلم، وبنات أخرى أجهضناها كي لا تعيش بشلل أو قلبٍ مبتور، لا أقصد الجندريّة في الكتابة بين نون النسوة وواو المُذكّر السالم، أنتم حقاً سالمون من قيدِ اللغة تكتبون كما تعيشون!، لكن كلانا يمارس فعل الكتابة كمحارب لا يستريح في ساح الوغى، لا يرمي سلاحه، لا يغمض عينيه، لا يأمن ولا ينام، نكتب في كل وقتٍ كالقلق كالريح تعصف الفكر لتستجمع غمام الأدب، فتهطل وتهطل لتروي عطش الروح بملح الإبداع هكذا يستمر العطش ولا نرتوي ويتسمر فعل الكتابة ولا نتعب، فكيف يحكمنا الوقت لنكتب؟، وكيف نُسكت أفكارنا التي نتبعها في كل الأمكنة حتى تعلن ولادتها للنورِ في إمارةِ الأدب المقدّسة، فترانا نحاكِم أنفسنا أمام محكمةَ الضمير بعد أن فرغنا من حملٍ ثقيلٍ ونتساءل: هل أجدنا بما كتبنا؟ ثم تجيبنا أفكارنا: الكتابة خلاص لأرواحنا وملاذ آمن لسين السؤال والجواب، فسمعاً وطاعة لأمر الكتابة التي نحن رهنُ إشارتها في كل وقت وزمان.

أطبق على مسامعي

سهير زغبور

لعل فنجان القهوة هو القاسم المشترك بين أغلب الأدباء..
حين ينغمسون في الكتابة ..
لكنه ليس الوحيد في طقوسهم الأدبية ..
إذ يتفرد كل منهم بطريقة تجعل له عالمه الخاص الذي لايشاركه به شيء ..
فبعضهم تشده الأرض ورائحة التراب ..
وآخر ..يرى في البحر ملاذاً لقلمه يغب من مائه حبر الحرف ..
ومنهم من يجعل من منزله محبسة يتقوقع فيها ريثما ينهي منجزه أو لنقل كلما أراد أن يكتب ينزوي في ركن قصي خلف طاولته ..تحاور روحه السطر والقلم ..
وعن نفسي ..فأنا أميل إلى شبه عزلة عندما أكتب ..
أطبق على مسامعي الصمت واستسلم لأوراقي التي أبعثرها على الطاولة لأستنفر في ذاتي جمعها من جديد ..
أفتح الستائر ..والشمس في كبد السماء
وحين تغفو ..لايثني الليل عينيّ ..بل أكتب حتى أفول آخر نجمة ...
استحضر الفصول والمحيطات ..
والقمر ...
أهيء ماستطعت من أنفاس ألتقط بها رئة تبعث في الحروف روح الحياة ....

كطقوسي في الحياة

رجاء شعبان

طقوسي في الكتابة ومع الكتابة كطقوسي مع الحياة كلها... فهل للحياة طقوس محددة... وهل الحياة من دون طقوس؟ لا أبداً....أنا الحياة لكي أعتبرها حياة، فلابد من لحظات جميلة مستقرة تأتي من بعد مواقف كعواصف وأمطار، فتغدو كالربيع من بعد شتاء... طقوسي مع الكتابة تأتي كنبضات الحياة في لحظات ولادة من بعد تكوّن جنينها من الأفكار والمواقف المتكررة والمشاعر المتشابهة أو الناضجة... العمل الإبداعي كأي برقٍ أو رعدٍ أو ومضة أو بريق... يشتعل بعد شرارة شحنات تولّدت بصعق تيار كهربائي.. طقوسي مع الكتابة... ليس لديّ طقوس... قد أكون في خضمّ حديث وأستوحي منه فكرة، فأركنها في فكري للحظات وأمسك قلم عقلي وأسطّر ماتجمّع من كلمات وأحرف وعبارات... أكتب في كل الأوقات... وفي جميع الأحوال... فهي مني نتاج مما يزرعه الزمن بفكري بكل شيء... وحين تطول مشاعري وتفيض ذواتي تقطر اللحظات وحدها حروفاً من كتابة ولغات من روح تحاول أن تعبّر بجميل المعاني أو تخفف من قبيح... أو تصنع من أخشاب الواقع سفينة النجاة بطوفان الألم أو الشعور العارم أكتب في الصباح والمساء... أو ربما في منتصف الليل... إذ لا زمن للكتابة... ولا مزاج خاصّ مخصص أثناء اندلاع المشاعر... فالكتابة تغدو في لحظات كالقارب في رحلة على متن الماء ومع ركاب ومسافرين لا نعرفهم حتى....

لا طقوس لي في الكتابة.. الكتابة عندي فعل ككل الأفعال نضوج من ثمر الأجواء طعام من شهيّات الأوقات شحنات من نبضات الحب والصباح رقصات من ظلال الظهيرة وميلان الأغصان من ثقل الغلال الكتابة عندي كشرب الشاي وعزف الحديث مع النساء كتفاؤل الصبايا بعرس جميل كلعب الأطفال في زوايا الحارات والساحات أكتب في الباص... وعلى الشرفات أرى عصفوراً يغامزني فأبتسم وأرد له بحرف الغمزات يثور الغضب في قلبي، فأمسك من ندى نهري وأطفئه بحبر الماء أنا في الحب لا طقس لي... الحب عندي في الذهاب على جواد الحرف... فأصبح من عاشقة إلى بطلة سورة القلم وآية نون والقلم ومايسطرون.. لكن الطقس الأجمل والأوحد لي في الكتابة... موسيقا ونغم ناي حزين ونافذة أطلّ منها على أفق ونظرة في الذاكرة تصول وتجول وتأتي وتدفق بالصور والعبارات.. طقوسي في الكتابة يا سيدي كطقس أيلول الذي أحبّه.. نسمات عشق بالخريف على تلك العتبات وجنونُ قهرٍ يصعد في بهوات الظلم.. الكتابة عندي يا سيدي كتنفس الهواء حين أحتاج لزيادة جرعات الأوكسجين حين يغدو الكون برحبه خانقاً لي.. الكتابة في طقوسها كعزف الريح ألحانها على أوراق الشجر واختمار السكّر في ثمر الليمون وجري العزم في الماء ونفخ الروح في ناي القصب رجاء.

إذ تذكر الشام ينداح الفضا عجبا

د. جميل حداد

الشاعر والأديب القومي العربي العُماني هلال السيابي كان في مطلع شبابه سفيراً لعُمان في دمشق وقد طال غيابه عنها وبعد أن عاد إليها بعد زمن طويل كان قلبه قد امتلأ بالحنين والمحبة والشوق إليها وهو الفارس الوفي الذي يخزن المحبة ويتصف بالوفاء، ولأنه ابن عُمان العروبة والوفاء أبدع هذه القصيدة العصماء التي يصح أن نسميها ملحمة شعرية لفارس من فرسان الشعر العربي، فتحية له وتحية ليراعه المبدع
رعاه الله وحماه وحمى كفاءته القومية لتبقى ذخراً لمن أحبّه وأحبّ دمشق:

شاعرٌ قال وأبدع

ياشاعرَ المجد نلت المجد والرّتبا
إذ رحتَ تنثرُ فوق الغوطة الحببا
طوّعت في الشّعر والإبداع قافيةً
سبحان ربّكَ إذ أعطى وإذ وهبا
أسرجتَ للمجد والعلياء ملحمةً
ريّانةَ النّسغ إنْ خيّالها انتسبا
يمضي إلى الشّام تغدو الشّامُ ممرعةً
هل تكنزُ الشّام إلّا التبرَ والذهبا
تعطي سنا النور للآتينَ في شغفٍ
شوقاً إليها وتعطي العاشقين صِبا
أبياتُ شعركَ ترياقٌ ومأثرةٌ
طوبى لكفّك تروي المجد والحسبا
فالشّعر يترك للتاريخ مأثرةً
ما كلّ من كتب الأشعار قد كتبا

لافضّ فوك الذي قد قال قولته
إذ تذكر الشام ينداح الفضا عجبا
أبدعت في كلّ ماجاد القصيد به
فالصّبحُ يكمن فوق الشّام مرتقبا
يعطيكَ ربّك كي تبقى لنا سنداً
من يطلب الخير للمظلوم ماغُلبا
أودعتَ حبّك في حضنٍ يقدّره
أعليت حقّاً بأرض الشّام مستلبا
أكرم بجيدٍ من الأجواد انصفنا
حين الجميع تخلى فأبعد العتبا
وأكرم بفيض من الأشعار يحملني
قد طاول الغيم والأفلاك والسّحبا

قطفة من مطر

بديع صقور

«الحياة مثل ظلّ عصفور، عندما يرحل لا يكون هناك عصفور ولا ظلٌ».

«إلياس أبو شبكة»

-١-

على كفّ التراب نسيها القمر...
تحت عتبة شفق عابر
سقطت مضرجة بالدموع
ومن بين أحضان المطر
شقّت صدر الأرض ،وانفلت صوتها:
الحياة لا شيء...
الحياة لا أحد...
الحياة يتيمة على باب ريح،
وبحةُ ناي من قصب.

-٢-

بأنامل موجة
على وقع أنغام موجة أرتشفُ نبيذَ غربتي
بكُمّ أحزاني أمسح دموع الفراق
التَي لاتجفّ...
× × ×
أتوق إليهم...
بأنامل موجة...
ببصر كليل أمرُ على وجه الزرقة الغافية.
أجسُ سرير البحر بأصابعي الباردة
أرفع غطاء السرير:
- بارد فراش البحر.
× × ×
أتوق للإبحار ولا مراكب في البحر...
الأيام أعشاب يابسة في مروج السنين
ولا درب لأقدام المطر.
× × ×
أتوق للطيران...
الريح عاتية...
تدفعني الريح إلى وكنات النار المظلمة
ولا درب لأقدام الحفاة.
× × ×
أتوق للسفر...
الريح تبعثر الأحلام كرمال الصحارى...
الخيبة تقهقرني... تدحرجني كحجرٍ،
ولا دربَ لأقدامي الحافية.
تعثرتْ قدماي...
وحيداً.. ولا أحد.

-٣-

الحلم والجرح

الحلم والجرح...
ليس للذكريات تراتُبية في الحضور
الزمن... فوضى الذكريات
الذكرياتُ... جروحٌ..
الجروحُ... حروبٌ
الحروبُ... مصائب.
× × ×
كلّما انقضتْ مصيبة
اشتعلت حرب...
عشوائياً نتذكر الماضي
«الفوضى الخلاقة» (١) تتقاسمنا
عشوائياً تتداخل الأحلام،
وتختلط الرؤى...
ينفلت الجرح...
ولا من يوقف هذا النزيف...
«الفوضى الخلاقة». تبعثرنا...
والريح عاتية... عاتية.

ذاكرة

نذير العظمة: قد سلكنا إلى دمشق السبيلا..

يشدني إلى الشاعر المبدع نذير العظمة العمق الذي يبدو شفافاً كأنه كؤوس من نور وإذا بالنور طبقات طبقات، والقاع بعيد وسحيق يشفّ عن أنوار تغريك وإذا بك تسبح دون أن تعي أنك قد ورّطت نفسك في لجّة تدفعك إلى لجة أخرى.

تعرفت إليه منذ سنوات بعد أن أعدت إليه كتاباً يحمل إهداءً بخط يده، كان صيداً ثميناً من مكتبة الرصيف، وبالتأكيد كنت أتابع الكثير مما قدّمه في الشعر والنقد الأدبي، حاورته وفاض بالكثير الكثير وأعلم أن في جعبته ما يملأ سلالاً كثيرة.. تعرفت إليه ثانية من خلال أوراق عارف الدمشقي، أدهشني ذاك الفتى الذي كان وهذا المبدع الذي صار... عارف الدمشقي بوح يحتاج إلى من يفك أسراره ويقرأ مرة واثنتين وثلاثاً، ويحتاج أن يسأل وربما لا يجد للسؤال إجابة وهو بحاجة إلى أكثر من ذلك..

اليوم أقف عند مجموعة الشاعر الجديدة الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب تحت عنوان: الطريق إلى دمشق...

وفي الطريق إلى دمشق مذاهب شتى فما قصدها محبّ إلا وفتحت أبوابها به، ومامن معتدٍ إلا وتهالك عند أسوارها. في الطريق إلى دمشق تتفتح القلوب للمحبين وتعمى الأبصار والبصيرة للجاحدين، دمشق في الأدب، في الفن في الإبداع ليست نغمة مفردة بل هي حقل أنغام وجدول ينساب في الشعر وفي القصة و في الرواية، في الموسيقا و في الألوان.

بالتأكيد نذير العظمة واحدٌ من أبناء دمشق ومحبيها ومبدعيها وما قدّمه ليس إلا محطّة من محطّات كثيرة توقف فيها المبدعون عند دمشق، فما من شاعر إلا وغمس ريشة كلماته بعطر غوطتها ورصّع صوره ببهاء قاسيونها، وأملس لغته بياسمينها.

حاولت منذ عامين أن أقدم مختارات مما قيل في دمشق وصدرت ضمن ديوان دمشق، فإذا بي أمام أعداد لا تحصى من القصائد، بل المعلقات التي قيلت في دمشق مكاناً وزماناً وبطولة.

بل لا أذهب بعيداً إذا قلت: إن المرء ليستطيع كلّ عام أن يجمع مجلدين مما يقال في دمشق فكما هي الحضارة المتجددة كذلك هو الإبداع يتجدد..

الطريق إلى دمشق

مجموعة الشاعر العظمة واحدة من اللآلئ التي صقلت لدمشق وللاحتفاء بدمشق، ودمشق هنا في هذه المجموعة هي بلاد الشام، هي سورية الطبيعية وهل الأبناء غير امتداد للآباء... يقودنا العظمة إلى بداية الطريق ويعلن دون مواربة أن المعراج طويل طويل، بلى ربما كلما صعدت قمة إليها تراءت لك قمم. يقول في القصيدة المعنونة: الطريق إلى دمشق:

– ما وصلنا إلى دمشق ولكن
قد سلكنا إلى دمشق السبيلا
– كم أكلنا من خبزها وشبعنا
وشربنا من مائها سلسبيلا
– وحلمنا بأننا في ثراها
نزرع الحب والإخاء الجميلا
– آه يا قاسيون أي احمرار
ضرّج الصخر والشقاء الطويلا
– إنه الجمر والنخيل وعشق
ملأ الصدر والفؤاد العليلا
– آه يا حبنا الذي شفقاً صار
وروضاً من شوقنا وأصيلا
– ظلّ فينا يا نبضها يا حنيناً
وإباء وعنفوانا أصيلا
– ما وصلنا إلى دمشق ولكن
قد عشقنا إلى دمشق الوصولا

ودمشق قلب سورية، وسورية هي رحم الدنيا كما يراها الشاعر:

– قد هرول فجرك مبتهجاً الليل تخوّف مختلجا
– فلعزمك حدّ مثل السيف يسيل دماً فيضيء دجى

وعلى المقلب الآخر ثمة من يرى نفسه متحضراً لكنه بعيد عن الإنسانية وقيمها، لا يعرف من الحضارة إلا الوجه المادي الذي لم يترك نبضاً في قلب:

– يا جارنا في الغرب إنك في الحضارة غير جار
– ماذا تقول لعصبة تركتك تحلم بالدمار
– صليت في رحم التراب وأنت ترجمني بنار
– رئة الهواء تظل تثقبها وتجتث الذراري
– الماء مائي والحياة بخاطري سحر الكنار
– وعلى جبيني لم يمت ألق النجوم فلا تماري
– إن كنت قابيل اتعظ فأنا أخوك فخذ بثأري
واغسل يديك من الدماء
وارفع جبينك للسماء..

ولا ينسى الشاعر تفاصيل دمشق وأحياءها التي صارت مدناً بعد أن كانت حقولاً وبساتين، فها هي كفرسوسة تنال قصيدة تحمل اسم (معلقة كفرسوسة).

ومن الشام إلى بعلبك إلى صافيتا وبرجها إلى مرمريتا إلى الرجال الذين صنعوا النصر: يوسف الأجيال، الصالح العلي، الشهيد أنزور، إلى الفلاسفة والمفكرين إلى المعري إلى أبي العلاء الدمشقي.

نقش سوري

جلال فاروق الشريف

كاتب وصحفي سوري ولد في دمشق عام ١٩٢٥ وتوفي فيها بتاريخ ١٢/٣/ ١٩٨٣..كان الابن الأكبر لأب كان يعمل صيدلانياً.. تلقى تعليمه في دمشق، وحصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩٣٩ ثم انتقل مع أسرته للعيش في مدينة حمص بحكم عمل والده وهناك تابع دراسته في مدرسة التجهيز، قسم الفلسفة وكان من منتسبي كشاف سورية، فوج تجهيز حمص.. عمل في مؤسسة (الميرة) التي كانت تقوم بشراء الحبوب وتموين جيوش الحلفاء في منطقة (حسيا) عام ١٩٤٣ كي يوفر لنفسه نفقات الدراسة.. بدأ الكتابة في العشرين من عمره ونشر أوائل مقالاته من حمص تحت اسم مستعار وهو (ابن الصيدلاني) عام ١٩٤٥ في مجلة (الأديب) اللبنانية لصاحبها ألبير أديب.. أكمل دراسته الجامعية وتخرج من جامعة دمشق حاملاً الإجازة في الحقوق عام ١٩٤٨ بعد أن كان قد التحق بنفس العام بجيش الإنقاذ، السرية الأولى من فوج اليرموك الأول وشارك بمعركة (زرعين).. عمل في التعليم مدرساً في هيئة التعليم الثانوي في اللاذقية عام ١٩٤٩ ثم في إعدادية وثانوية أمية في دمشق.. توجه نحو العمل الأدبي والصحفي وأصبح رئيساً لتحرير جريدة «الوحدة» ١٩٥٩ - ١٩٦١ .. رئيس شؤون تحرير جريدة «البعث».. شغل منصب «مدير عام مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر» وساهم بإصدار جريدة «الثورة».. مدير الملحقين الصحفيين في وزارة الإعلام ١٩٦٣ - ١٩٦٦ .ساهم في تأسيس اتحاد الكتاب العرب واتحاد الصحفيين وعُين مديراً لمعهد الإعداد الإعلامي.. كان رئيساً لتحرير مجلة «الموقف الأدبي»، وأسهم في تأسيس جريدة تشرين مع عدد من الإعلاميين أمثال جبران كورية.

تولّى «الشريف» منصب المدير العام لمؤسسة «الوحدة» للطباعة والنشر منذ تأسيسها عام ١٩٦١، وأصبح أول رئيس تحرير لجريدة «الثورة» الصادرة عن مؤسسة «الوحدة»، فيما يقول صديقه الصحفي «عادل أبو شنب» في أحد لقاءاته الصحفية أنهما عملا معاً على إنشاء مجلة أسبوعية ثقافية أطلقا عليها اسم «مجلة ليلى» وكانت تملكها «ناديا السمان» زوجة «أبو شنب».

ويضيف «أبو شنب» أنه في الوقت الذي تأسست فيه جريدة «الثورة» طلب منه ومن «الشريف» ترك مجلة «ليلى» والتفرغ للجريدة، في حين كانت الأقاويل داخل «الثورة» تتهمهما بالابتعاد عن الخط التقدمي وفق «أبو شنب».

تزوّج «الشريف» من الدكتورة الدمشقية «أمينة فوزي» التي ستكون رفيقة دربه الشائك وأمّ أولاده «فضل» و«عون» وابنته «زين».

بدأ «الشريف» مسيرة التأليف في العام ١٩٦٤ حين أصدر كتابه «الدعاية السياسة» والذي كان فاتحة للعديد من الأعمال التي تمحورت حول السياسة والإعلام والأدب والنقد، لا سيما وأن «الشريف» أبدى اهتماماً لافتاً بالأدب السوفييتي سواءً بالترجمة أو بالكتابة حول المؤلفات الأدبية والأدباء السوفييت مثل «تشيخوف» و «غوركي» و «مايكوفسكي» الذي أفرد له كتاباً خاصاً حمل اسمه بصفته «شاعر الثورة الاشتراكية».

مهنية «الشريف» وإتقانه للعمل الصحفي وسعة اطلاعه أهّلته لأن يكون ضمن المؤسسين الأوائل للصحف الرسمية الثلاث المستمرة حتى الآن بالصدور في «سورية»، فبعد «البعث» و «الثورة» ساهم «الشريف» في تأسيس جريدة «تشرين» عام ١٩٧٤ وأصبح رئيساً لتحريرها، وكان مندفعاً لإبراز اسمها كجريدة مميزة وتجربة ناجحة تحمل بصمته.

رحل «الشريف» يوم ١٢ آذار ١٩٨٣، تاركاً وراءه اسماً نظيفاً وإن كان لم يأخذ حقه في الشهرة والتذكير بموروثه، إلا أن كل باحث في تاريخ الصحافة السورية وأعلامها سيجد اسم «الشريف» كواحد من المؤسسين البارزين للصحف السورية إضافة إلى دوره في التأليف والترجمة والنقد، لكن مشوار «الشريف» انتهى «نصيراً» بعد أن كان مؤسساً، ومنسياً بعد أن كان حاضراً بقوة ليرحل دون صخب ويشيعه أصحابه بحزن عميق وأسف على الرجل الذي لم يأخذ حقه.

ومن مؤلفاته

عناقيد الغضب- مختارات من الأدب الأميركي- ترجمة- دار الرواد- دمشق ١٩٥١.

مراسلات غوركي تشيخوف، دار اليقظة العربية، دمشق، ط١ ١٩٥٣- دار دمشق، ط٢ ١٩٨١. طبعة ٢٠١٨ - دار الرافدين بيروت.

مقابلات مع مكسيم غوركي - دار الرواد- دمشق ١٩٥٢.

مجلة (ليلى) ١٩٦٣ - ١٩٦٢ (زاوية دائمة بعنوان: أوراق من دفتر ليلى).

الدعاية السياسية- دار الصحافة- دمشق ١٩٦٤.

علم الأدب السوفيتي- دراسة- دار الصحافة ١٩٦٤.

الثورة العربية كما يراها اليسار الغربي- وزارة الإعلام - دمشق.

مايكوفسكي شاعر الثورة الاشتراكية- بغداد ١٩٧٢.

بعض قضايا الفكر العربي المعاصر- دراسة- اتحاد الكتاب العرب- دمشق- ١٩٧٤ .طبعة ثانية ٢٠٠٤ - وزارة الثقافة - دمشق.

الشعر العربي الحديث- دراسة- اتحاد الكتاب العرب - دمشق ١٩٧٦.

إن الأدب كان مسؤولاً- دراسة- اتحاد الكتاب العرب- دمشق ١٩٧٨.

من أجل جبهة أيديولوجية للصمود والتصدي، مقالات، اتحاد الكتاب العرب- دمشق ١٩٧٩.

الرومانتيكية في الشعر العربي المعاصر في سورية- دراسة- اتحاد الكتاب العرب- دمشق ١٩٨٠.

أفكار فلسطينية- دراسة- دمشق ١٩٨١.

في الأدب السوفييتي، دراسة- وزارة الثقافة- دمشق ١٩٨٣.

مقالات في مجلة (الأديب): - القومية تعبير عن الشخصية/ يوليو ١٩٤٥ - الشباب/ أغسطس ١٩٤٥ -الفرد وأخلاق الأمة/يونيو ١٩٤٦ - مشكلة العمل القومي/ يوليو ١٩٤٦ - نحن ومشاكل الغرب/ أغسطس ١٩٤٦ - الانقلاب في حياة الأمة/ أكتوبر ١٩٤٦ - من حياة شاب/ نوفمبر ١٩٤٦ .

شاعر وقصيدة

إبراهيم ناجي

علي حبيب

ولد الشاعر إبراهيم ناجي في حي شبرا بالقاهرة في اليوم الحادي والثلاثين من شهر ديسمبر في عام ١٨٩٨، وكان والده مثقفاً مما أثر كثيراً في تنمية موهبته وصقل ثقافته، وقد تخرج الشاعر من مدرسة الطب في عام ١٩٢٢، وعين حين تخرجه طبيباً في وزارة المواصلات، ثم في وزارة الصحة، ثم مراقباً عاماً للقسم الطبي في وزارة الأوقاف.

- وقد نهل من الثقافة العربية القديمة فدرس العروض والقوافي وقرأ دواوين المتنبي وابن الرومي وأبي نواس وغيرهم من فحول الشعر العربي، كما نهل من الثقافة الغربية فقرأ قصائد شيلي وبيرون وآخرين من رومانسيي الشعر الغربي.

- بدأ حياته الشعرية حوالي عام ١٩٢٦ عندما بدأ يترجم بعض أشعار الفريد دي موسيه وتوماس مور شعراً وينشرها في السياسة الأسبوعية، وانضم إلى جماعة أبولو عام ١٩٣٢م التي أفرزت نخبة من الشعراء المصريين والعرب استطاعوا تحرير القصيدة العربية الحديثة من الأغلال الكلاسيكية والخيالات والإيقاعات المتوارثة.

- وقد تأثر ناجي في شعره بالاتجاه الرومانسي كما اشتهر بشعره الوجداني، وكان وكيلاً لمدرسة أبولو الشعرية ورئيساً لرابطة الأدباء في مصر في الأربعينيات من القرن العشرين.

وقد قام ناجي بترجمة بعض الأشعار عن الفرنسية لبودلير تحت عنوان أزهار الشر، وترجم عن الإنكليزية رواية الجريمة والعقاب لديستوفسكي، وعن الإيطالية رواية الموت في إجازة، كما نشر دراسة عن شكسبير، وقام بإصدار مجلة حكيم البيت، وألّف بعض الكتب الأدبية مثل مدينة الأحلام وعالم الأسرة وغيرهما.

- واجه نقداً عنيفاً عند صدور ديوانه الأول من العقاد وطه حسين معاً، ويرجع هذا إلى ارتباطه بجماعة أبولو وقد وصف طه حسين شعره بأنه شعر صالونات لا يحتمل أن يخرج إلى الخلاء فيأخذه البرد من جوانبه، وقد أزعجه هذا النقد فسافر إلى لندن وهناك دهمته سيارة عابرة فنقل إلى مستشفى سان جورج وقد عاشت هذه المحنة في أعماقه فترة طويلة حتى توفي في الرابع والعشرين من شهر مارس في عام ١٩٥٣.

- وقد صدرت عن الشاعر إبراهيم ناجي بعد رحيله عدة دراسات مهمة، منها: إبراهيم ناجي للشاعر صالح جودت، وناجي للدكتورة نعمات أحمد فؤاد، كما كتبت عنه العديد من الرسائل العلمية بالجامعات المصرية.

ومن أشهر قصائده قصيدة الأطلال التي تغنت بها أم كلثوم ولحنها الموسيقار الراحل رياض السنباطي.

ومن دواوينه الشعرية :
وراء الغمام (١٩٣٤)، ليالي القاهرة (١٩٤٤)، في معبد الليل (١٩٤٨)، الطائر الجريح (١٩٥٣)، وغيرها. كما صدرت أعماله الشعرية الكاملة في عام ١٩٦٦ بعد وفاته عن المجلس الأعلى للثقافة.

بي ما تحسّ وفي فؤادكِ ما بي
فتَعال نبكِ أيا نجيّ شبابي
أنكرت بي ناري عشية لامَسَتْ
شفاتي مِنْكَ أناملَ العنابِ
وسألتَ ما صمتي وما اطراقتي
وعَلام ظلّت حيرة المرتابِ
أقبلْ لأقسمَ في حياتي مرةً
إن الذي أُسقاه ليس بصابِ
مَنْ أنتَ؟! من أيّ العوالم ساخرٌ
مستأثرٌ بأعنة الألبابِ؟
ما يصنع الملكُ الطهورُ بعالَمٍ
فانٍ وأيّام كلمع سرابِ؟
دوّارةٌ أبدَ السنين كعهدِها
من ليل آثامٍ لصبح متابِ
يا هيكل الحسنِ المبارَك ركنه
الساحر النور الطهور رحابِ
قدمتُ قرباني إليك بقية
من مهجةٍ ضاعت على الأحبابِ
حدّثتُ نفسي إذ رأيْتُكَ بادياً
وأطَلْتَ تسآلي بغير جوابِ
ما يصنع الملكُ الطهورُ بعالَمٍ
فإنٍ وأيّامٍ كلمع سرابِ؟
ما يصنع الأبرارُ بالأرض التي
ساوت من الأبرار والأوشابِ؟
دوّارةٌ أبدَ السنين كعهدِها
من ليل آثامٍ لصبح متابِ
تغلو الحياة بها إلى أن تنتهي
عند التراب رخيصةً كترابِ!
يا هيكل الحسنِ المبارَك ركنه
الساحر النور الطهور رحابِ
لا صدقَ إلاّ في لهيبك وحده
وجلالُه الباقي على الأحقابِ
قدمتُ قرباني إليك بقية
من مهجةٍ ضاعت على الأحبابِ
وَأذبْتُ جوهَرَهَا فداءَ نَوَاظِر
قُدْسيّةٍ، عُلويّةِ المحرابِ!
إبراهيم ناجي إبراهيم ناجي

قلب راقصة

أمسيتُ أشكو الضيقَ والأنيا
مشغرقاً في الفكرِ والسأم
فمضيتُ لا أدري إلى أينَا
ومشيت حيث تجرّني قدمي
فرأيتُ فيما أبصَرَتْ عيني
مَلهىً أعدّ ليبهجَ الناسا
يجلون فيه فرائدَ الحسنِ
ويباع فيه اللهو أجناسا
بغرائب الألوان مزدهر
وتراه بالأضواء مغموراً
فقصدته عَجِلاً ولي بصرٌ
شبه الفراشة يعشق النورَا!
ودخلتهُ أجتازُ مزدحماً
بالخَلق أفواجاً وأفواجا
وأخوضُ بحراً بات ملتطماً
بالناس أمواجاً وأمواجا
فقدوا حجاهم حينما طربوا
ودووا دويّ البحر صخّابا
فإذا استقرّوا لحظَةً صخبوا
لا يملكون النفسَ إعجابا
متوثبين يميلُ صفُهم
متطلعَ الأعناق يتقدُ
ومصفين عَلَتْ أكفُهم
فوَارةً فكأنها الزبدُ!
لمَ لا أثورُ اليومَ ثورتهم؟
لمَ لا أضجُّ كما يضجونا؟!
لَمَ لا تذوق كؤوسَهم شفتي؟
إنّ الحجا سُمّي وتدميري
في ذمةِ الشيطانِ فلسفتي
ورزانتي ووقار تفكيري!
يا قلبُ! ضقتَ وها هنا سعةٌ
ومجالٌ مصفودٍ بأغلال
أتقول أعمارٌ مضيعة؟!
ماذا صنعت بعمرك الغالي؟!
أنظر ترَ السيقان عاريةً
وترَ الخصورَ ضوامراً تغري
وتجدْ عيون اللهو جارية
فهنا الحياة! وأنت لا تدري
مَنْ هذه الحسناءُ يا عيني؟
السحرُ كلّلها وظلّلها
كالطير من غصنٍ إلى غصنِ
وثّابةً، وثب الفؤاد لها!
تراه حسناً غيرَ كذابِ
لا ما يزيفه لك الضوء
ويزيد فتنتَها باغرابِ
حزنٌ وراءَ الحسن مخبوءُ!
ثم اختفتْ والجميعُ يرقبها
ويلحُ: عودي! ليس يرحمها
هي متعةٌ للحسّ يطلبها
وأنا بروحي بتُّ أفهمُها!
ورأيتُها في آخر الليلِ
في فتيةٍ نصبوا لها شركا
يعلو سناها الحزنُ كالظل
مسكينة تتكلّفُ الضحكا
فمضيتُ توّاً، قلت: سيدتي!
زنتِ المراقص أيّما زين!
هل تأذنين الآن ساحرتي
تأكيدَ إعجابي بكأسين؟
فتمنّعت وأنا ألحّ سديّ
بالقول أغريها وأعتذر
فاستدركتْ قالت: أراك غداً
إن شئتَ. إني اليوم أعتذر
وتحوّلت عني لرفقتها
ما بين منتظرٍ ومرتقبِ
فتّانة تغري ببسمتها
وتحدّدُ الميعادَ في أدب
حان اللقاءُ بغادتي وأنا
أخشى سراباً خادعاً منها
متلهفاً أستبطئُ الزمنا
وأظل أسأل ساعتي عنها
وأجيل عينَ الريب ملتفتاً
متطلعاً للباب حيرانا
وأقول: ما يدريك أي فتى
هي في ذراعيْ حبه الآنا!
مَنْ ذا يُصدّقُ وعدَ فاتنة
لا ترحمُ الأرواحَ إتلافا
أنثى تلاقي كل آونةٍ
رجلاً وترمي الوعدَ آلافا
وهمتُ بعد اليأسِ أن أمضي
فإذا بها تختالُ عن بُعدٍ
ميّزتها بشبابها الغضّ
وبقدّها، أُفديه من قدٍّ!
يا للقلوب لملتقى اثنين

عندما تتهاوى أوراق الشجر

شهناز صبحي فاكوش

تسابق سابحات خيالِها، سابحات الجياد في مضمار أشبه بحلبة التفاضل؛ تدور بين ثنايا دماغها إلى اللانهاية.. تطوي فيافي روحها الملتهبة بنار وجدِ زفرات المساكين، الذين سرقت البسمة من شفاههم، تاهت آهاتها في حنايا زمانها الذي تناول أكبر جرعة مخدرة لينام تحت مبضع الجراح..

مثل سنا النار التهمت جذع شجرة متصدع، التمع ضوؤها بين شقوقه، تاركاً إياها جمر فحم.. تتلظى الأمهات اللواتي فقدن أبناءهن. كل مرة تأتي فيها الريح حاملة الموت، تذكرنا بأنها القابضة على الأرواح البريئة، تحملها كما تحمل ورق الشجر الأصفر الذي يلتجئ تحت نوافذ الثكالى..

خريف الموت ينال كل مرة من الأبرياء كاوياً قلوب الأمهات.. صارت جرداء كالأشجار يجردها أيلول من ثوبها الساتر لأغصانها الغضة.. أصبحت قلوبهن غريبة عن الصدور التي تحتويها.. تنسج من آهاتها لوحات ألم تلازمها إلى مستقرها الأخير. صور من الحرب ناشبة الأظفار..

حتى لو أخذتها الدنيا في زحمتها لتغيّب تفكيرها عمن تحب.. للحظات. كنحلة سكرى ارتشفت رحيقاً من ثمرة ناضجة حتى التخمر.. فتجلدها النحلات الحارسات المدافعات عن الخلية.. هي تجلد عقلها وقلبها لأنها سهت قليلاً عن التفكير في من فقدت، وتنحّت ذكراه عن فكرها لثوانٍ..

نبحث عن أحبابنا، البيت والحي يفتقدهم، نتمنى لقاءهم، دون لقاء. غابت حوائج الدنيا عن تفكيرنا روّضت نفوسنا، ابتعدت عن نعت الغير بالجهالة.. فهم عباقرة زمانهم.. اسودت أيامنا كعنقود عنب تاهت عنه يد القاطفين.. هل ظلوا صغاراً كما غادرونا، بينا نحن نشيخ في زمن العبثية..

ويبقى قلب الأم كواحة الفاكهة لكل ولد نكهته فيها.. وقبل رائحة الخبز التي تجمعهم يأتي طيفهم من بعيد، نشعر بهم قبل أن يقتربوا.. وتظل الأم إناء الورد الذي يحتضنهم، لكل وردة عطرها ولونها المختلف وهي تزهو بالجميع.. هدية الله للأمومة التي تطفح متباهية بسجاياهم بين الناس..

بعض الولد يتلبسه العقوق والجحود، كمن عق جاحداً بوطنه. يبتعد عن قلبها حد التصدع يندم لات لا ينفع الندم. البعض أزراره قطعت ماتت قبل البلوغ.. ابتعَدوا وعقارب الساعة توقفت قبل أن تكمل نبضها. ترى يعود طيفهم بكرة أو أصيلا، والأم ما زالت واقفة على عتبة الباب تنتظر.

تسائل عنهم نسمات الصبح ورائحة المطر، والندى يتصبب فوقها.. تناجي طيور الدار التي غاب معهم صوتها الرخيم، ونهدات صدرها تشق جدار الصمت. يذوب قلب الأم المنصهر بنار الغياب والبعاد حيث اللا عودة.. ومحطة الانتظار تغص بها على رصيفها، علّ القطار يمر بها لتستقله.

حتى لو كان وقوفاً.. إلى حيث هم.. فالشوق قاتل والفراق مرّ والوقوف على الناصية وحشته أمر.. ذاكرتها تزدحم فيها ليالٍ وأماسٍ جميلة، بل وصباحات كانت مفعمة بالفرح والسرور، مع صدح صوت فيروز ورائحة القهوة.. وضحكات من القلوب الصغيرة تملأ أرجاء البيت..

أحرق الموت جميع أوراقها، مزقهم الفراق بوحشية.. كان الفرح يملأ دنياهم عابثاً بكل شيء.. حتى أوراق الشجر الصفراء في باحة الدار.. والمظلات فوق رؤوسهم تتراقص، تقيهم زخات المطر.. لم يخطر لها مرة أنهم سيغادرون مع أوراق الخريف لتحتضنهم الأرض كما المطر..

لولا كلام الله الذي يسكن القلب وبذكره تطمئن القلوب.. لهلعت الأم في أزقة المدينة، وبين ثغورها.. لتودَعَ في مصحّ أقل ما يقال عنه نفسي، تناجي عبر نوافذه طيور السماء ترنم آهات احتراق قلبها تحملّه رسائل وجعها، كما يحمل الحمام الزاجل رسائل الأهل لداخل لأرض المحتلة..

دموعها كانت تنسكب مع شبّابة الراعي، تهامس نغماتها لحن الأسى في خلود الغياب.. والحزن في صمته الرهيب يخترق تفاصيلها.. تسائل نفسها هل يمكن أن تعود البهجة والأفراح لتغمر دُورَ الثكالى ببسمة تجاور الغصة.. العمر الذي مضى في وداع الكثير من الغالين، يدعو لمن بقي منهم أطال الله أعمارهم.. فقد تسلوْ قلوب الأمهات بأفراحهم وبسماتهم.

مدحة عكاش ومجلته (الثقافة)

أحمد بوبس

لعل الكثيرين من الأجيال الجديدة لا يعرفون، بل لم تسمع آذانهم اسم الأديب الكبير مدحة عكاش الشاعر والكاتب والرائد في مجال الصحافة الثقافية في سورية. فهو صاحب ورئيس تحرير أشهر مجلة أدبية في سورية مجلة (الثقافة) وأختها جريدة (الثقافة الأسبوعية) اللتين تخرج منهما الكثيرمن الشعراء والأدباء في وأنا منهم. واستحق بجدارة لقب (أصمعي العصر الحديث) لسعة اطلاعه على الأدب العربي عامة والشعر بشكل خاص، فقد كان يحفظ عشرات الآلاف من الأبيات الشعرية من مختلف العصور العربية. وأذكر أنه ما من مرة جلسنا فيها معه وذُكر اسم شاعر عربي مهما كان مجهولاً، إلا وأفاض في التعريف به وأورد العديد من إبداعاته الشعرية. كما كان حجة في اللغة العربية، لدرجة أنه قام بتدريس الأدب العربي في كبريات الثانويات بدمشق، مع أنه يحمل إجازة جامعية بالحقوق وليس بالأدب العربي.

وكما ذكرت فإن مدحة عكاش أحد أوائل رواد الصحافة الثقافية في سورية، إذ أصدر مجلة (الثقافة) الشهرية، وصدر العدد الأول منها في أيار ١٩٥٨، وبعد سبع سنوات تحولت إلى جريدة أسبوعية حملت اسم (الثقافة الأسبوعية)، وفي عام ١٩٧٥ عادت مجلة (الثقافة) الشهرية للصدور مع استمرار (الثقافة الأسبوعية) التي تخصصت في نشر المقالات الثقافية المنوعة والنتاجات الشعرية، بينما تخصصت المجلة بنشر الدراسات الأدبية والفكرية. وكتب في الاثنتين كبار الأدباء والكتاب في سورية والوطن العربي، وكان لي الشرف أنني كنت أحد كتابهما. واستمرتا في الصدور حتى عام ٢٠١١، إذ توقفتا بسبب رحيل مؤسسهما.

وعلى الضفة الأخرى كان مدحة عكاش شاعراً مبدعاً، ولكنه مقلاً، إذا كانت المجلة والجريدة تستهلكان جل جهده، والإبداع الأدبي بحاجة إلى لحظات خلو مع النفس للتأمل والتخيل، وهذا مالم يكن متاحاً له، إذا كان العمل الأدبي والثقافي يستغرقان جل يومه. ومع ذلك جمع بعض إنتاجه الشعري في ديوان شعري وحيد، حمل عنوان (يا ليل)، وضم بين جلدتيه خمساً وعشرين قصيدة من الشعر العمودي، تنوس موضوعاتها بين الوجدان والعاطفة. وكتب الدكتور شاكر مصطفى تقديماً مسهباً للديوان، ومما قاله فيها:

(يا ليل...آهة ذبلت على شفاه قومي وهم يرددونها صباح مساء منذ قرون لا أدري مداها، ولست أعلم أي شيطان وسوس بها إلى شاعرنا الصديق مدحة عكاش فجعله يلقي بها على عتبة ديوانه، ويزرع تقاسيمها على البحور.

وأعترف أنني طربت للتسمية دون أن أدرك على الضبط منزلها من تلك النفس الشاعرة ولا معناها. طربت لأنها فتحت لي آفاقاً أين منها سدرة المنتهى...).

ومدحة عكاش أبدع قصائد الديوان في أوج شبابه، حيث روحه المتوثبة نحو الجمال والأنثى رمزه، فكان جموحاً في غزله، لا يكفيه ثغر واحد:

لا لهويَ العاتي ولا أكوابي
تُثني جموح صبابتي وشبابي
أيقظتُ في دنيا الفتون مشاعري
وجعلتُ في محرابه محرابي

لكن مشاغل الحياة وانصراف الأديب عكاش إلى تدريس اللغة العربية وإلى إصدار جريدته ومجلته، كانا على حساب شعره. لكنه عوّض عن ذلك في رعاية الكثير من المواهب الشعرية والأدبية الشابة التي أصبحت أسماء مرموقة بفضله.

وفي الحقيقة كان هناك سبب أهم في إقلاعه عن كتابة الشعر، أسره لي في جلسة خاصة معه. يوها قال لي إنه توقف عن كتابة الشعر لأنه أحسّ أنه لن يكون في مستوى فطاحل الشعراء العرب، ولن يضيف إلى ديوان العرب أية إضافة قيّمة. وهذه شجاعة لا يستطيعها أيٌ كان.

وهناك سر آخر باح لي به، وهو أن قصيدة (خُلقت جميلة لتعذبينا) التي لحنها خالد أبو النصر وشدت بها زكية حمدان في خمسينيات القرن العشرين، والتي يُنسب نظمها إلى الشاعر نوفل إلياس، أن البيتين الأولين له، وهما:

خُلقت جميلة... لتعذبينا ولسنا في غرامك مجرمينا
إذا كان الهوى والحب عيبٌ فكل معليب العشاق... فينا

ونظم الأستاذ مدحة هذين البيتين في سهرة طرب جمعته مع زكية حمدان، وقالت له زكية مازحة (ألم يحرك غنائي مشاعرك؟)، فنظم البيتين وأعطاهما لها، وبعد فترة وجدت زكية حمدان البيتين جميلين، ويصلحان لأن يكونا أغنية، ولكن مدحة عكاش بعيداً عنها، فأعطت البيتين للشاعر نوفل إلياس، وأكملهما، ولحنهما خالد أبو النصر، لتكون من أجمل الأغنيات زكية حمدان.

ومدحة عكاش أغنى المكتبة العربية بستة من كتب الدراسات الأدبية، تناولت مواضيع أدبية متنوعة، وهذه الكتب هي:

- ابن الرومي (دراسة) - دمشق ١٩٤٨.
- رسائل الجاحظ - دمشق ١٩٦٦.
- من روائع الأدب الأندلسي (دراسة ومختارات).
- القصائد الأولى لبيتر توميست (مترجمة عن الانكليوية).
- بدوي الجبل (دراسة ومختارات) - دمشق ١٩٦٨.
- كتاب الثقافة - صدر الجزء الأول والثاني منه عام ١٩٧٠.

وإضافة إلى هذا كله فقد كان مكتبه داراً للنشر أيضاً. فقد كان يُشجع الأدباء الشباب الذين تُغلق في وجوههم دور النشر الرسمية والخاصة، فيصدر لهم مجموعاتهم الشعرية والقصصية، وبلغت هذه الإصدارات الآلاف.

وإذا نسيت فلن أنسى كيف كان مكتب المجلة والصحيفة في زقاق الصخر (مكان فندق الفور سيزنز)، والذي هو بيت دمشقي جميل بباحته الواسعة وبركة المياه التي تتوسطها، كيف كان هذا المقر عبارة عن صالون أدبي يجتمع فيه كبار الأدباء، وفي فصل الصيف كان ينعقد في باحة الدار وقت الأصيل، فكانت الكراسي تصف على شكل نصف دائرة حول البركة، يتصدرها الأستاذ مدحة وعلى يمينه وشماله يجلس الأدباء، يتبادلون أحاديث ثقافية وأدبية متنوعة. وكان نصيبي أحد الكراسي المتطرفة لكوني أصغرهم سناً وقيمة، هنا تعرفت على العديد من الأدباء الكبار أمثال عبد السلام العجيلي وعبد المعين ملوحي ونادايا خوست ونجاة قصاب حسن وغيرهم كثيرين. وكانت هذه اللقاءات مدرسة مهمة لي تعلمت منها الكثير.

ولابد لي أن أعترف هنا بفضل الأستاذ مدحة عكاش عليّ. إذ رعاني في بداياتي، وفتح لي المجلة والجريدة أنشر فيهما شعري، ورشحني أكثر من مرة للمشاركة في مهرجانات شعرية داخل وخارج سورية، مثل مهرجان المعري في معرة النعمان ومهرجاني الفاتح والحرية في ليبيا.